بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

تاريخ الإعداد: 7 رمضان 1428 هجري إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

المرجع: 20070919 www.al-msjd-alaqsa.com

الدرس السابع ثلاثون درس في سورة الفاتحة في رمضان

النعم – الشكر – الحمد

يقول عز وجل في سورة النمل 27 – آية 19 ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، ويقول في سورة الأحقاف 46 – آية 15 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فقد أنعم الله علينا بكل ما سألناه إياه، وعلى كثرة هذه النعم، فإن الله سبحانه وتعالى يصف كل هذه النعم بأنها نعمة واحدة من نعمه، ويقول المولى عز وجل في سورة إبراهيم 34 ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، وفي سورة النحل 18 ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ويقول في سورة النحل 83 ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وبالفعل لن نستطيع إحصاء جميع نعم الله سبحانه وتعالى، فكل ما على الأرض وداخلها وفوقها وفي سمائها، وفي كل ما فيها، فيه النعم الكثيرة التي تعود في النهاية بالفضل والخير للإنسان، ويقول سبحانه وتعالى في سورة النحل 81 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، وفي سورة لقمان 20 ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

نعمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الأنعام 95-99 (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، وقال في سورة نوح 15-16 (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) فسبحان الله الكريم والحمد لله على نعمه.

والنعم، إخواني، فتنةٌ يفتن الله بها عباده ليَمِيْزَ منهم الصالح من الطالح، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر 49 (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، فعلينا شكر الله على النعم قبل أن تزول، فلا تنتظر أخي المسلم حتى تزول النعمة ثم تبدأ بدعاء الله ليعيد عليك ما أخذ من النعم، وسبحانه وتعالى يقول في سورة فصلت 51 (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ).

وكل النعم التي نعيش بها من الله سبحانه وتعالى، حيث يقول في سورة النحل 53 (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)، وفيما يلي، نعدد بعض النعم التي أنعم الله علينا بها من (نعمة واحدة من خزائنه)، لاحظ في الآيات السابقة، كانت تذكر كلمة (نعمة) وليس (نعم) أو (أنعم) أو (أنعام)، على أن نأخذ بعين الاعتبار أننا لا نستطيع أن نحصر نعم الله، وأن نأخذ بعين الاعتبار أيضا، أن كل نعمة من هذه النعم، لو بحثت لاحتاجت مجلدات ومجلدات لشرحها لعظمتها، وإن ما نقوم به هنا هو من قبيل تبسيط الأمور وتسهيلها وتقريبها، والتذكير بها، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

نعمة الخلق

فسبحان الله الذي أنعم علينا بالخلق، فبتزاوج آدم وحواء ومجيء نسلهم حتى أنعم الله على والديك بك، كم كانت الاحتمالات أن تكون أنت الموجود وليس شخص آخر، وأيضا كما كانت الاحتمالات أنت تكون أخت الذي جئت من بين ملايين ملايين إخوتك من الحيوانات المنوية، فأن كنت أنت المختار للحياة، من أكبر النعم التي أنعم الله عليك بها.

نعمة الفطرة

والله يقول في سورة الأعراف 172 ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، فنثرها بين يديه كالذر ثم كلمنا وأخذ علينا عهدا أن لا نشرك بي شيئاً، وقال لنا (إعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئا، وإني سأرسل إليكم رسلا ينذرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتابي)، ونحن أجبا وقلنا (نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك)، وبهذا كانت فطرتنا، وكنا بفطرتنا نعلم الحق من الباطل، ونعرف أن الله حق وأن القيامة حق وأن البعث حق وأن الجنة حق وأن النار حق.

نعمة التعديل وإبداع التصوير

ولقد خصنا الله أيضا بأن جعل خلقنا معتدلا بين خلق الملائكة والجان، وخير الأمور الوسط، ونحن معتدلين بالمزاج، ومعتدلين بالقامة، ويقول سبحانه وتعالى في سورة التين 4 ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وقال أيضا في سورة الصافات 11 ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، فنحن على إمتلاكنا الشهوات، إلا أننا نختار بنفسنا عبادة الله وطاعته، والحمد لله.

نعمة التسوية ونفخ الروح وإسجاد الملائكة له

وهل أعظم بأن خصنا الله بأن ينفخ فينا من روحه، يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجر 29 ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

فعندما طلب الله سبحانه وتعالى من الملائكة ومن إبليس أن يسجدوا لآدم عند نفخ الروح فيه، فإن هذه دلالة أكيدة وواضحة بأن الله فضلنا على كل من الملائكة والجان.

نعمة تعليمنا الأسماء كلها

فمجرد أن نفخ الله فينا الروح علمنا كل الأسماء، ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة الآية 31 (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، وفي هذا تشريف عظيم يرفع الله سبحانه وتعالى فيه مستوانا درجات على باقي خلقة من ملائكة وجان وحيوانات وغيرها، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر 9 (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)، ولعظمة قيمة العلم فإن أول ما نزل من القرآن (إقرأ)، أي أن أول وأهم تكليف كان طلب العلم، ويقول سبحانه وتعالى في سورة المجادلة 11 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

نعمة تميزنا بالعقل

فالله وهب الإنسان شدة العقل، والعقل هو الربط بين الأمور، فتقارب بين ما هو موجود لديك بما هو منظور عندك، فتعرف كيف تتصرف، وفي الحديث الشريف (أن أعرابي دخل المسجد يصيح، يا رسول الله، يا رسول الله، ناقتي فرت، فسأل الرسول، أوما عقلتها، فقال الأعرابي، توكلت على الله، فقال عليه الصلاة والسلام، اعقلها فتوكل)، أي خذ بالأسباب وأربطها، ثم توكل على الله، وبالعقل فقد تميزنا بالفهم والنطق والإشارة والخط وتمكنا من العلوم والصناعات والاختراعات والابتكارات حتى أننا وصلنا القمر والكواكب البعيدة، وارتفعنا بالبنيان فبنينا ناطحات السحاب، وبنينا المصانع وصنعنا السيارات والقطارات والطائرات والغواصات والصواريخ والدبابات والمدافع والكمبيوترات والتلفزيونات والراديو هات والثلاجات والغسالات والجلايات وغيرها كثير مما يعيننا في أداء شؤوننا اليومية.

نعم الحواس

فقد اصبغ الله علينا النعم في أجسادنا بالحواس كالسمع والبصر والنطق والشم والمذاق والإحساس، وفي كل منها العجب العجاب، حيث يحار العلماء والباحثين عند البحث في أي من هذه الحواس، ولا يعلم مقدار عظمة إحدى هذه الحواس، إلا فاقدها، فاسأل الأعمى عن البصر وإنظر ماذا يقول، وإسال القعيد عن مقدار

نعمة المشي، وإنظر ماذا يقول، وفي الإحاسيس، نعمة عظيمة للإنسان، فلولا نعمة المذاق، لأكل الناس الطعام الفاسد بدون تمييز، ولأكل الطعام بملح أكثر مما يحتاج جسمه، أو بأقل مما يحتاجه جسمه، وهكذا، ولو لا الإحساس بالألم، لإحترق الإنسان بالنار دون أن يشعر، ولتزف دمه دون أن ينتبه، وهكذا.

نعمة أن جعلنا مسلمين (الدين التام)

وقد أتم الله نعمته علينا بالإسلام والقرآن ونبوية سيدنا محمد، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الفتح 2 (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة المائدة 3 (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا).

نعمة القرآن والتذكير

وهو من أكبر النعم علينا، يقول المولى عز وجل في سورة البقرة 213 (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) وفي سورة الطور 29 (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)، والذكر هو القرآن، ومن النعم المصاحبة للقرآن أن تكفل الله بحفظ هذا القرآن، ويقول الحق في سورة الحجر 9 (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

نعمة أننا أمة سيدنا محمد

خلق الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه وخلق آدم من أجل سيدنا محمد، وأي نعمة أكبر من أن نكون أمة هذا النبي الكريم عظيم الشأن عند الله سبحانه وتعالى، ويقول عز وجل في سورة الحجرات 7–8 (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

نعمة إرسال الرسل لعباده

يقول سبحانه وتعالى في سورة المائـــدة 20 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـــهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

نعمة تأليف قلوب المؤمنين

إذا أخلصنا إيماننا، واعتصمنا بحبل الله، وشد كل منا أزر أخيه، فإنه حق على الله أن يؤلف قلوبنا بعضنا على بعض، ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران 103 ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾،
أللهم اهدي نفوسنا، وألف قلوبنا، ووحد صفوفنا، وانصرنا على القوم الظالمين.

نعمة تأييد المؤمنين بجنود من الملائكة

فإذا أخلصنا الإيمان لله سبحانه وتعالى، ساندتنا الملائكة، وربما صافحتنا في الأسواق، وسبحانه وتعالى يقول في سورة الأحزاب 9 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

نعمة الأزواج والأبناء والحفدة والطيبات

وهذه من النعم العظيمة التي أنعمها علينا الله، ويقول سبحانه وتعالى في سورة النحل 71 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِـــنَ الطَّيِّبَـــاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

نعمة البيوت والبساتين والعيون والمزروعات

يقول سبحانه وتعالى في سورة الدخان 26–27 ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾.

نعمة خلق الأنعام لنركبها، والبحر ليحملنا

فنعمة عظيمة أننا محمولين وليس حاملين، فسبحانه وتعالى يقول في سورة لقمان 31 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الزخرف 12-13 (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ).

نعمة الرحمة وقبول التوبة وغفر الذنوب

والرحمة أول النعم التي أنعم الله بها على سيدنا آدم، وبنعمة الرحمة ندخل الجنة إن شاء الله يوم القيامة، والرحمة التي أنعم الله بها علينا في الدنيا هي رحمة واحدة من مئة رحمة، ابقى منها تسع وتسعون رحمة ليوم القيامة، ومن رحمة الله علينا أن أبقى باب توبته مفتوح مشرع أمام التآبين الأوبين لربهم، فتوبوا إلى الله توبة نصوح يغفر لكم ذنوبكم.

نعمة العبادات

فالعبادات نعمة عظيمة يطهرنا الله بها ففي سورة المائدة 6 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، فالعبادات هي طهارة يطهرنا الله بها، وفيها أيضا الفائدة للإنسان أيضا (فالصلاة رياضة) (والصوم صحة) (والحج سياحة) (والزكاة – كفالة إجتماعية) (والتوحيد راحة نفسية). ولكن علينا أن ننتبه أن أداء هذه العبادات يجب أن يكون بنية العبادة، وليس بنية الفائدة الذاتية، حتى يتقبلها الله.

نعمة الأمن والطمأنينة والرزق

من أعظم النعم أن ينعم الله علينا بنعمة الأمن والطمأنينة، ويقول سبحانه وتعالى في سورة النحل 112 (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ

اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) كما ويقول في سورة فاطر 3 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ).

نعمة رفع الإبتلاء

يقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف آية 6 (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ).

نعمة الصحة

مما لا شك فيه أن الصحة من أكبر نعم الله على الإنسان، ومن مرض منكم، أو من إبتلاه الله بمرض عضال، أو عاهة مستديمة، يعلم تمام العلم معنى هذا الكلام، فالصحة كما يقال، تاج على رأس الأصحاء لا يراه إلا السقماء، وإذا لم يبتليك الله بمرض ما وأردت أن تعرف معنى ومدى مقدار هذه النعمة، إسأل مريضا عن مرضه وعن معاناته، وكم هو مستعد لأن يدفع كي يحصل على الشفاء، أللهم عافنا مما إبتليت به كثيرا من عبادك، أللهم آمين.

كيف تدوم النعم

يقول في سورة الأنفال 53 (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، لاحظ هنا العهد الرباني الشريف، الذي يتعهد فيه الله سبحانه وتعالى إبقاء النعم التي أنعم بها علينا، طالما بقينا محافظين على الصلة بينا وبينه، طالما بقينا سائرين متشبثين بالدين الحق سائرين على الحق، وفي هذا بيان واضح أن الدولة الإسلامية عندما تقوم، فإن الله يتعهد ببقائها طالما بقيت إسلامية حقا، ولكن إذا فسدت فترقبوا من الله تغيير نعمته وترقبوا زوال هذه النعمة، ويقول سبحانه وتعالى في سورة النحل 114 (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ويقول في سورة النحل 121–123 (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) ويقول في سورة مريم 58 (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آَدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ

هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) ويقول في سورة النمل 18-19 (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) كما ويقول في سورة القصص 17-18 (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) وفي سورة الضحى 11 (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، كما نرى بأن شكر الله على النعم وعمل الصالحات، وعدم مظاهرة المجرمين وتحديث الناس بنعم الله، هي من الأسباب المثبتة والمبقية بل والتي قد تزيد نعم الله عليك، يقول سبحانه وتعالى في سورة يوسف آية 7 (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ).

وعندما يمد الله الكفار بالنعم أشكال وألوان، فلا تحسب أن هذه محبة من الله لهؤلاء الكفار، أنما يغدق عليهم من خيره كي يفسدوا أكثر، كي يحق العذاب عليهم أكثر، يقول سبحانه وتعالى في سورة آل عمران 178 (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)، كما ويقول في سورة الإسراء 17 – آية 16 (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا).

ولا بد أن نذكر قبل أن نختم، بأن كل النعم التي أنع الله بها علينا، هي إبتلاء من الله مثلها مثل المصائب، حتى يرى الله كيف سنتعامل مع هذه النعم، بالشكر أم بالكفر، جعلنا وإياكم من الشاكرين ا لحامدين العابدين الذاكرين لأنعم الله.

معنى التسبّيح

السباحة هي الجري السريع في الهواء واستعملت في الماء وكل شيء سريع الحركة يسمى سباحة، والتسبيح هو سرعة التأثر ترى طفلاً جميلاً أعجبت بجماله فلا تملك إلا أن تقول سبحان الله، فالتسبيح هو التنزيه، أي نفي المماثلة أو الشبه، ويكون ذلك عندما نحمد الله أو نشكره أو نثني عليه أو نعظمه أو نوقره أو نكبره. فعندما نرى شيئاً من عجائب صنع الله فأننا وبشكل سريع نحمد الله وهذا تسبيح، يقول عز وجل في سورة الزخرف 43 – آية 82 (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)، كل صنعة نراها في هذا الكون، كل نعمة من نعم الله تعالى تدركها، كل فضل تشعر به، لا بد أن يحدث واحداً من كلمات

هذه المنظومة حمداً أو تكبيراً أو توقيراً أو تعظيماً أو ثناءً، وهذا هو التسبيح، الإسراع بحمد الله والثناء عليه وتكبره وتوقره، يقول عز وجل في سورة الإسراء 17 – آية 1 (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)، ويقول في سورة الروم 30 – آية 17(فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ)، ويقول في سورة الأحزاب 33 – آية 42(وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً).

معنى التكبّر

الإعتراف وإظهار أن الله هو الكبير الذي لا أحد فوقه يأمره وإنما الكل تحته يأمرهم الله، يقول سبحانه وتعالى في سورة الإسراء 17 – آية 111 (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا).

معنى المدح

المدح عكس الذم، وهو إظهار صفات الموصوف الحسنة، ويكون المدح باللسان، نثراً أو شعراً أو كلاماً عادياً، حيث أن الذم إظهار الصفات السيئة للموصوف، وربما كان الممدوح أو المذموم بعكس ما نقول، كأن يمدح الشاعر ملكاً فاسداً، أو أن يذم الخبيث عالماً جليلاً.

معنى التعظّيم

التعظيم هو التضخيم في الأثر. يقال (ذنب عظيم) أي تأثيره قوي في اعمالك فيمحقها محقاً ويقال (فوز عظيم) أي ليس بعده خسارة. فالتعظيم فيها جزء من المدح باضافة شيء واحد هو تضخيم الشيء كمّاً وأثراً وتأثيراً. قد يكون هناك ملك مجيد لكن تأثيره على شعبه قليل مثل ملك بريطانيا مثلاً هذا لا يطلق عليه ملك عظيم لأنه لا يملك التأثير على شعبه ولا يحكم. الملك الذي يملك ويحكم هو العظيم. وفي رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس قال فيها (إلى عظيم الروم) لأنه كان ملكاً يحكم وله تأثير على شعبه. فكل عظيم متضخم كمّاً وكيفاً وتأثيراً بحيث يكون تأثيره ضخماً في كل نتائجه.

معنى التوقّير

فيها المدح وفيها التعظيم وبزيادة أنك بمجلسه تكون ساكناً، جوارحك ساكنة، لا ترفع صوتك في حضرته، يقول عز وجل في سورة الفتح 48 – آية 9 (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ويقول في سورة الحجرات 49 – آيات 2–3 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)، ويقول في سورة النور 24 – آية 63 (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)، ويقول في سورة المجادلة 58 – آية 12 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، تدخل بهدوء حركاتك موزونة تخفض صوتك. ويقول صلى الله عليه وسلم (لو أوشكت الصلاة على النهاية لا تستعجل وإنما تأتي الى الصلاة وعليك السكينة والوقار).

السكينة تكون في القلب من خوف أو اضطراب (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الفتح 4)، والوقار يكون في الجوارح أي حركاته موزونة يقال رجل وقور يتكلم بهدوء بكلام موزون هابه والتوقير للعين "رجل يذكركم الله وجهه" (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح 13) عندما يذكر الله تعالى تخشع وتكون هادئاً ولا تصخب ولا يرتفع صوتك ولا تكون حركاتك صاخبة "تعلموا العلم وتعلموا له الوقار" كبار الصالحين تجلس أمامهم في غاية الهدوء والتوقير والسكون.

معنى التمجيد

فيها المدح وفيها التكبير وفيها التعظيم وفيها التوقير ولكن درجة التكبير تكون أعلى ما يمكن، بحيث نرفع من نمجده عالياً أقصى ما نستطيع، ويكون التمجيد عن محبه وصدق وأخلاص.

الحميد المجيد: صيغة مبالغة أي كثير الحمد وكثير التمجيد (مجدني عبدي) في حديث سورة الفاتحة.

مَجَد يمجد فهو مجيد ومَجُد فهو ماجد. المجد هو الرفعة العليا رفعة القوة والنفوذ والكلمة (إن ربي حميد مجيد).

معنى الثناء

الثناء هو نفس الشكر بفارق أن الثناء ذكر الجميل على ما يتجدد من فضل، وكلما فعل الله تعالى معك صنيعاً كأن يغفر ذنبك أو يحلِم عليك أو يستر عورتك وكلما تكررت هذه الصنائع من الله تعالى وتكرر حسن صنعته في الكون، عليك أن تظهر فضل الله عليك بأن تثني عليه ذاكراً فضله عليك، وهذا هو الثناء، فتكرر الشكر لتكرار الصنعة والصنيع هو الثناء، لذا قال تعالى واصفاً القرآن الكريم في سورة الزمر 39 – آية 23 ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، فكل يوم تكتشف في هذا القرآن بشائر عظيمة وصنيعة جديدة وصنعة جديدة فهذا الذي يقتضي شكراً متكرراً وهو الثناء.

أي أنه أن تَثني على فعلٍ مرةً واحدةً فهذا الشكر، وعندما تكتشف أن هذا الأمر يستدعي شكراً جديداً فهذا هو الثناء. وفي الحديث القدسي في سورة الفاتحة (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين) كم مرحمة يرحم الله تعالى بها عباده (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وكذلك رحمته لا تحصى فعليك أن تشكر الله تعالى شكراً جديداً فتُثني عليه وكذلك كتاب الله مثاني إلى يوم القيامة سيكتشف الناس فيه صنيعة عجيبة مما يستدعي تجديد الشكر له تعالى وهذا التجديد هو الثناء. فكل من يستدعي فعله أن تشكره كثيراً وتكرر الشكر لتجدد أفضاله وفضائله فهذا هو الثناء.

معنى الشكر

الشكر هو مدح عطية النعمة أو الفضل، بنشر وإعلان وفضح وتوضيح هذه العطية أو هذه النعمة، والنعمة هنا تكون مادية ملموسة كأن يعطيك أحدهم هدية، والشكر هنا يستدعي بالضرورة أن تستعمل هذه النعمة بطريقة تسر وترضي من أعطانا إياها، وعكس الشكر الكفر أي التغطية، يقول عز وجل في سورة إبراهيم آية 7 ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

فالشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم، ولا يصح الشكر إلا على النعمة، فقد قال تعالى في سورة الأحقاف 46 – آية 15 ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، فبين أن هذا الشكر مقابل النعمة التي أنعمها الله تعالى عليه وعلى والديه، وقال تعالى في سورة البقرة 2 – آية 172 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)، وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام في سورة النحل 16 – أية 120–121 (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، فبين تعالى أن شكر ابراهيم كان عن نعم أنعم الله تعالى بها عليه، وقال تعالى في سورة الأنعام 6 – آية 63 (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)، فبين أنهم اقسموا أنه إن أنجاهم الله تعالى من ظلمات البر والبحر يكونوا من الشاكرين، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف 7 – آية 189 (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) وقد يكون الشكر مقابل العفو عن جريمة كما عفا الله عن بني إسرائيل بعدما عبدوا العجل فقال تعالى في سورة البقرة 2 – آيات 51–52: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). والآيات في ذلك كثيرة.

ومن الأحاديث التي تبين أن الشكر يكون في مقابلة النعمة قوله – صلى الله عليه وسلم – "عجبت من أمر المؤمن إن أمر المؤمن كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان ذلك خيراً ..." الحديث رواه الإمام أحمد في المسند فجعل – صلى الله عليه وسلم – الشكر في مقابلة ما يسر الإنسان ورواه الإمام مسلم. وككذا قوله – صلى الله عليه وسلم – "الطاعم الشاكر كالصائم الصابر" رواه البخاري في الأطعمة، فجعل – صلى الله عليه وسلم – الشكر مقابل الإطعام، وقوله – صلى الله عليه وسلم،"من تنعم تنعم على شاكر" متفق عليه.

ومن دعائه – صلى الله عليه وسلم – "واجعلنا شاكرين لنعمتك" رواه أبو داوود، والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة، فعرفنا من هذه اللآيات والأحاديث أن الشكر يكون في مقابلة النعمة ويكون تعظيماً للمشكور واعترافاً بنعمته.

بعض الأوصاف التي تحدثت عن الشكر

ان كلمة شكرا لها تأثير قوي جدا على النفوس، هل جربتم ان تقولوها لخادم او لخادمة عندكم! هـــل جربتم ان تقولوها لطفل صغير قام بتقديم شيء لكم! هل جربتم ان تقولوها لمن ادى لكم خدمة و لو بســـيطة! جربوا ان تقولوها اذا لم تتعودوا .. وسترون تأثيرها و سحرها على الأنفس.

هذه بعض المقولات في الشكر :-

- لا يوجد افضل من قول الله تعالى "ولأن شكرتكم لأزيدنكم".
- شكر الله – يقول صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" النبي صلى الله عليه وسلم (صحيح أبي داود)، وقوله عليه الصلاة والسلام "افلا اكون عبداً شكوراً".
- الشكر حق – واشكر فإن الشكر حق على الإنسان واجب – صالح عبد القدوس.
- الشكر افضل – الشكر افضل وما حاولت ملتمسا *** به الزيادة عند الله والناس.
- الشكر مفتاح – الشكر يفتح ابوابا مغلقة *** لله فيها على من رامه نعم – الأبرش.
- إخلاص الشكر – فأخلص الشكر فيما قد حُبيت به *** وآثر الصبر كلّ سوف ينقطع – محمد الواسطي.
- اشكر ربك – ألا فاشكر لربك كل وقت *** على اللآلىء والنقم الجسيمة – الزوزني.
- الشكر جُنة – ولم ار مثل الشكر جُنة غارسٍ *** و لا مثل حُسن الصبر جُبة لابس – ابو الفتح البستي.
- وعظ – اشكر من يغلُظْ عليك ويعظك، لا من يُزكيك ويتملّقُك. – علي بن ابي طالب كرم الله وجهه.
- دوام النعم – وبالشكر تدوم النعم – مثل عربي.
- بادر بالشكر – فبادر الشكر واستغلق و ثائقه *** واستدفع الله ما تجري به النقم – الأبرش.
- لا ترجُ – لا ترجُ من لا يشكر النعمى و يصبر في العواقب – صالح عبد القدوس.
- لا تشكر حتى تجرب – لا تشكرن أمرأ حتى تجربه *** و لا تذُمّنّه من غير تجريب.
- شكر المرء – فشكرك المرء ما لم تبله سَرَفٌ *** و ذمّك المرء بعد الحمد تكذيب.
- خزائن الشكر – خزائن الشكر لا تفنى إذا فنيت *** خزائن المال و اختلّت مرابعه – الشريف العقيلي.
- زرع المعروف – من يزرع المعروف يحصد الشكر – مثل عربي.
- المعروف – المعروف غلّ لا يفكّه إلا شكر او مكافأة – علي بن ابي طالب رضي الله عنه.
- لا تنتظر الشكر – إذا فعلت معروفاً استره ولا تنتظر الشكر – قول عربي.
- الشكر رفعة – إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقصٍ *** على هبة فالفضل فيمن له الشكر – المتنبي.
- لم أر شكراً – ولم أر شكراً تمّ إلا بشيمة *** و لم أر عقلاً إلا على الأدب.
- رعاية – ليس يرعى الشكر إلا اهله *** لا يصون الدرّ إلا من خبر – محمد مقلد.
- عظمة – بالشكر تعظم الأقدار – علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

- الشكر زينة الغِنى – علي بن ابي طالب رضي الله عنه.
- التزام – سألزم نفسي الشكر على كل معروف.
- اولى الناس – اولى الناس بالشكر اقدرهم على المساعدة.
- رفعة القدر – من جعل الشكر شعاره، رفع الله قدره.
- هلاك – من لم ينجّه شكره من الانتقاد، اهلكه سوء تصرفه – قول عربي.
- الشكر اصلح – الشكر من ذي قدرة أصلح.
- اشكر من يساعدك – اشكر من ساعدك واعفُ عمن اساء إليك.
- جنى – ولن يُحوى الشكر بغير جود *** وخى يُجنى من اليبس الثمار – ابوالعلاء المعري.
- اشكر نقادك – اشكر نقادك فإنهم اهم عوامل نجاحك.
- كن حريصاً – كن حريصاً على كسب الشكر *** فما سواه إذا لم يبق جامعُهُ – الشريف العقيلي.
- المرء القادر – وما الحمد عند الخطب و المرء عاجز *** بمستحسن كالحمد و المرء قادر.
- الحمد عز – ارى الحمد في بعض المواطن ذلة *** و في بعضها عزّ يسود صاحبه – الخريمي.
- حميد – من شكر لم يفرّط في امره وعاش في الناس حميدا – علي بن ابي طالب رضي الله عنه.
- تواضع وشكر – ما تكبر احد إلا لنقص في نفسه، و ما تواضع وشكر إلاّ من استوت نفسه وسمت.
- لا تكثر الشكر – لا تكثر الشكر في امر واحد فيضيع المعروف و تفقد هيبتك.
- النفوس الطيبة – كن اكثر قدرة على الشكر منك على الجحود، فإن الشكر ينبع من نفوس طيبة، اما الجحود فيصدر عن نفوس خبيثة.
- الشكر منساة – امحص اخاك الشكر على عمل أدّاه لك، سواء كان عظيماً ام قليلاً، فالشكر منساة للتعب.
- الشكر سحر – لا تظنَّ ان الشكر لا يكفي للتعبير عن الامتنان، فالشكر سحر يفتح القلوب و يملؤها غبطة و محبة.
- الشكر و الامتنان – الشكر و الامتنان دعامتا الأخلاق، فالشكر يرفع قدر الإنسان، و الامتنان ينقله إلى مصاف الملائكة.
- شكر الآخرين – لا تنتظر شكر الآخرين لك، ما لم تكن إنسانا شكوراً، مبادراً بحسن التصرّف.
- شكر لا يفيد – ابتعد عن الشكر الذي لا يفيد، و الإمتنان الذي لا يكرمك و يرفعك، و احرص عليهما، لكن بموضعهما.
- رسول حكيم – أرسل إن لم تستطع الشكر من ينوب عنك ليشكر، لكن احرص على ان يكون رسولاً حكيماً.
- عقل سليم – الشكر والامتنان توأمان ينتجهما العقل السليم والهمّة العالية.
- كن شكورا – اشكر و تودد تنبُل، ولا تكن جحودا ناكراً فتُمقت و تُمتهن.

- لا تجحد – لا تجحد شكر من ادنى منك إن خدمك، فإن جحودك ادعى للخجل.
- كفاك شكرا – كفاك شكراً ان تكون اميناً لنفسك صادقاً مع غيرك.
- مضيعة الشكر – لك شكري على معروفك، و ما عليك جدالي، فإن مضيعة الشكر من سوء الجدال.
- أرخص بيعة – الشكر أرخص بيعة يبيعها الرجل، فلا تتردد في شكر إذا ما كان على معروف.

الحمد

الحمد هو الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على أسمائه الحسنى أو معنى من معاني أسمائه الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل، وما من أحد أحب إليه الحمد من الله عز وجلّ. و(**الحمد لله تملأ الميزان**) كما في الحديث الصحيح.

والحمد هو مدح الصَنعة (وجمعها صناعات) والصنيع و(جمعها صنائع)، والصنائع هي الأفعال المحبوبة كما جاء في الحديث "**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**" كالكرم والسخاء والحِلم والضيافة وإسداء المعروف وقضاء حوائج الناس والشفاعة لهم، والحمد هنا يظهر مدى إعجابك وتقديرك للفن والحرفة والإبداع المتغلغل في الشيء، كأن تبدي إعجابك بألوان لوحة ما، أو بجمال صنعة ما، وعكس الحمد هنا الذم.

ولا يكون الحمد حمداً حتى يمتد شكرك ومدحك وثنائك عبر الزمان كله وعبر المكان كله، بأن تعترف بأن النعمة هي من الله الآن وماضياً ومستقبلاً في هذ المكان وفي كل مكان.

التسبيح بحمد الله

يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجر 15 – آية 98 (**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**)، ويقول عز وجل في سورة طه 20 – آية 130 (**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**)، ويقول عز وجل في سورة ق 50 – آية 39 (**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**)، ويقول سبحانه وتعالى في سورة السجدة 32 – آية 15 (**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**)، ويقول عز وجل في سورة

الزمر 39 – آية 75 ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ويقول عز وجل في سورة غافر 40 – آية 7 ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، ويقول عز وجل في سورة غافر 40 – آية 55 ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الشورى 42 – آية 5 ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الطور 52 – آية 48 ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، ويقول عز وجل في سورة النصر 110 – آية 3 ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، ويقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة 2 – آية 30 ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ويقول عز وجل في سورة الرعد 13 – آية 13 ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، ويقول عز وجل في سورة الإسراء 17 – آية 44 ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

الفرق بين الحمد والشكر

الشكر يكون على النعمة والفضل، فإذا أنعم الله عليك بزرق أو طعام أو ماء أو لباس أو حكمة أو علم أو جاء أو سلطا أو هواء تتنفسه، فعليك أن تشكر الله، على هذا الرزق أو هذا الفضل.

أما الحمد فإنه الذكر بالجميل للمحمود على جهة التعظيم، ويصح أن يكون على نعمة وعلى غير نعمة، فمن الحمد مقابل النعمة قوله تعالى في سورة الأعراف 7 – آيات 42–43: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا مَا

فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)، فجعل الله نعمة الحمد مقابل هذه النعم الجليلة. وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام يقول عز وجل في سورة إبراهيم 14– آية 39 (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)، وقال تعالى مخاطباً نوح عليه السلام في سورة المؤمنون 23 – آية 28 (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). وقال تعالى في سورة الزمر 39 – آيات 73–74 (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ).

وقد يكون الحمد دون مقابل نعمة كقوله تعالى في سورة الإسراء 17 – آية 111 (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)، وقال تعالى في سورة النحل 16 – آية 75 (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، وقال تعالى في سورة غافر 40 – آية 7 (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)، فهم يسبحون الله ويحمدونه على جهة التعظيم دون ذكر للنعمة.

وفرق آخر بين الحمد والشكر أن الإنسان قد يحمد نفسه في امور جميلة طيبة فيذكر ما عمله من كرن او علم أو شجاعة، ولكن لا يجوز أن يشكر الإنسان نفسه، لأن الشكر في مقابلة نعمة من إنسان على آخر فهو بمثابة الدين ولا يجوز ان يكون للإنسان دين على نفسه. فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة، وفي الحمد على مما توجبه الحكمة.

ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفر، فالشكر إظهار حق النعمة لقضاء حق المنعم كما ان الكفـــر تغطية النعمة لإبطال حق المنعم.

ويمكن أن نضيف شيئاً آخر وهو أن الحمد يكون باللسان فقط فنقول الحمد لله، والشكر يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح.

الحمد وسورة الفاتحة

الحمد لله هي روح سورة الفاتحة وهي تملأ ميزانَ قارئها بالحسنات لما رواه مسلم، وعن أبي مالك الأشـــعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الطَهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان).

- قوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وردت (7) مرات في القرآن الكريم في السور:-

1. (الفاتحة 1 – آية 2) – (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
2. (الأنعام 6 – آية 45) – (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
3. (يونس 10 – آية 10) – (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
4. (الصافات 37 – آية 182) – (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
5. (الزمر 39 – آية 75) – (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِـــمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
6. (غافر 40 – آية 65) – (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).
7. (الجاثية 45 – آية 36) – (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

الحمد لله – والصلاة (الحمد والصلاة من أسماء سورة الفاتحة)

إن عدد حروف (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) بالرسم العثماني (17) حرفاً، وهي بعدد ركعات الصـــلاة اليومية في الأوقات الخمسة (17) ركعة، وبعدد لفظ (الإيمان) في القرآن الكريم (17) مرة، وبعدد لفظ (الكفر) في القرآن والذي هو مناف للإيمان (17) مرة.

وقد وردت كلمة (الصلاة) بمعنى (الإيمان) في قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [البقرة : 143]، قال أبن عباس : (أي صلاتكم التي صليتم إلى بيت المقدس)، ولما كان الإيمان منافياً للكفر فقد روى الترمذي حديثاً في ذلك قال صلى الله عليه وسلم : (بين الكفر والإيمان ترك الصلاة)، وكما هو معلوم فإن عدد الحروف المقطعة في سورة الفاتحة = 119 حرفاً وهذا العدد 119 = 7 ×17 ويساوي عدد ركعات الصلاة (الفرائض) اليومية لعدد أيام الأسبوع.

الحمد هو الدعاء

في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمدُ لله) "رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله وقال: حسن غريب" وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما أنعم الله على عبدٍ نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ) "رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك"، وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم (أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتباها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها، قال الله – وهو أعلم بما قال عبده – ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: أكتباها كما قالها عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها)"رواه ابن ماجو عن ابن عمر".

الحمد كله لله

والألف واللاّم في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث: (اللهم لك الحمدُ كُلُه، ولك الملك كلُّه، وبيدك الخير كلُّه، وإليك يرجع الأمر كلُّه) الحديث.

أقوال المفسرين في معنى الحمد

قال ابن جرير: (معنى (الحمد لله)، الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذاهم به من العيش، فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً، (الحمد لله) ثناءً أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمَرَ عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله، ثم قال: وأهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلاً من الحمد والشكر مكان الآخر).

قال ابن كثير: (وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته الازمه والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان، واللسان، والاركان كما قال الشاعر):

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال (الحمد نقيض الذم تقول: حمدت الرجل أحمده حمداً فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، يقال، شكرته وشكرت له وبلام أفصح، وأما المدح أعم من الحمد لأنه يكون للحي، وللميت، وللجماد، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك، ويكون قبل إحسان وبعده على الصفات المتعدية والازمة فهو أعم).

الفرق بين الحمد والمدح

- الحمد لا يكون إلا للحي العاقل، أما المدح فقد يكون للحي وللجماد، فأنت قد تمدح جماداً ولكن لا تحمده،
- أن المدح أعم من الحمد. فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان،
- الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد، أما المدح فقد يكون قبل ذلك فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل ولذا كان المدح منهياً عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احثوا التراب في وجه المداحين" بخلاف الحمد فإنه مأمور به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يحمد الناس لم يحمد الله".

وبذا علمنا من قوله: "الحمد لله" أن الله حي له الأسماء الحسنى والمعاني الجميلة والفعل الجميل فحمدناه على أسمائه ومعاني أسمائه وعلى فعله وإنعامه ولو قال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

لماذا قال عز وجل "الحمد لله" ولم يقل "الشكر لله"

قال عز وجل "الحمد لله" ولم يقل "الشكر لله" لأن الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على أسمائه ومعاني أسمائه الذاتية فانك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته وقد تحمده على ذلك وقد جاء في لسان العرب "والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته". فكان اختيار الحمد أولى أيضاً من الشكر لأنه أعم فانك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك والى الخلق جميعاً وتثني عليه بأسمائه الحسنى ومعاني أسمائه الذاتية وإن لم يتعلق شيء منها بك. فكان اختيار الحمد أولى من الشكر.

لماذ قال عز وجل "الحمد لله" ولم يقل "أحمد الله" أو "نحمد الله"

ما قاله أولى من وجوه عدة:

- إن القول "**أحمدُ الله**" أو "**نحمدُ الله**" مختص بفاعل معين ففاعل أحمدُ هو المتكلم وفاعل نحمدُ هم المتكلمون في حين أن عبارة "**الحمد لله**" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهذا أولى فإنك إذا قلت "**أحمد الله**" أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيرك حمده وإذا قلت "**نحمد الله**" أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة "**الحمد لله**" لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.
- وقول "**أحمد الله**" تخبر عن فعلك أنت ولا يعني ذلك أن من تحمده يستحق الحمد، في حين إذا قلت "**الحمد لله**" أفاد ذلك إستحقاق الحمد لله وليس مرتبط بفاعل معين.
- وقول "**أحمد الله**" أو "**نحمد الله**" مرتبط بزمن معين لأن الفعل له دلالة زمنية معينة، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه، ولا شك أن الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطا بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل فيكون الحمد أقل مما ينبغي فإن حمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان في حين أن عبارة "**الحمد لله**" مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع.
- جاء في تفسير الرازي أنه لو قال "**احمد الله**" أفاد ذلك كون القائل قادرا على حمده، أما لما قال "**الحمد لله**" فقد أفاد ذلك، أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤلاء سواءً حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.
- وقول "**أحمد الله**" جملة فعلية و"**الحمد لله**" جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.
- وقول "**الحمد لله**" معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد. فقولنا "**الحمد لله**" معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال "**احمد الله**" لم يدل ذلك على كونه مستحقاً للحمد بذاته، ومعلوم أن اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده.
- والحمد: عبارة عن عمل القلب وهي إعتقاد كون ذلك المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم والإجلال. فإذا تلفظ الإنسان بقوله: "**أحمد الله**" مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال

الله كان كاذباً لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً مع انه ليس كذلك. أما إذا قال "**الحمد لله**" سواءً كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن. فثبت أن قوله "**الحمد لله**" أولى من قوله "**أحمد الله**" أو من "**نحمد الله**". ونظيره قولنا "**لا اله إلا الله**" فانه لا يدخل في التكذيب بخلاف قولنا "**اشهد أن لا اله إلا الله**" لأنه قد يكون كاذباً في قوله "**أشهد**" ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين: "**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**" (المنافقون، آية **1**).

لماذا قال عز وجل "الحمدُ لله" بالرفع ولم يقل "الحمدَ لله" بالنصب؟

أن قراءة الرفع تدل على أن الجملة اسمية، في حين أن قراءة النصب تدل على أن الجملة فعلية بتقدير (نحمد) أو (احمد) أو (إحمدوا) بالأمر. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية لأنها دالة على الثبوت.

وقد يقال أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى "احمدوا الحمد لله" كما تقول "الإسراع في الأمر" بمعنى أسرعوا؟ والجواب لا فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لان الأمر بالشيء لا يعني أن المأمور به مستحق للفعل. وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان الحمد لله أولى من الحمد لله بالنصب في الأخبار والأمر.

لماذا قال عز وجل "الحمد لله" ولم يقل "حمداً لله"؟

الحمد لله معرفة بأل و"حمداً" نكرة، والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير ذلك أن "أل" قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله، وقد يكون لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها. ورجح بعضهم المعنى الأول ورجح بعضهم المعنى الثاني بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم لك الحمد كله**" فدل على استغراق الحمد كله فعلى هذا يكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله على سبيل الاستغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد ولا أجناسه.

"الحمد لله" أهي خبر أم إنشاء؟

الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب. قال أكثر النحاة والمفسرين: أن "الحمد لله" إخبار كأنه يخبر أن الحمد لله سبحانه وتعالى، وقسم قال: أنها إنشاء لأن فيها إستشعار المحبة وقسم قال: أنها خبر يتضمن إنشاء.

أحيانا يحتمل أن تكون التعبيرات خبرا أو إنشاء بحسب ما يقتضيه المقام الذي يقال فيه. فعلى سبيل المثال قد نقول (رزقك الله) ونقصد بها الدعاء وهذا إنشاء وقد نقول (رزقك الله وعافاك) والقصد منها أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.

والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أن تستعمل خبراً وإنشاءً بمعنى الحمد لله خبر ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كان نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول الحمد لله.

لماذا لم يقل سبحانه "إن الحمد لله"؟

لا شك أن الحمد لله لكن هناك فرق بين التعبيرين أن نجعل الجملة خبراً محضاً في قول الحمد لله (ستعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عندما تدخل عليه "إن" لا يمكن إلا أن يكون إنشاء، لذا فقول "الحمد لله" أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك. لذا جمعت الحمد لله بين الخبر والإنشاء ومعناهما، مثلا نقول رحمة الله عليك (هذا دعاء) وعندما نقول إن رحمة الله عليك فهذا خبر وليس دعاء، من المعلوم انه في اللغة قد تدخل بعض الأدوات على عبارات فتغير معناها مثال: رَحِمَهُ الله (دعاء)، قد رحمه الله (إخبار)، رزقك الله (دعاء)، قد رزقك الله (إخبار).

لماذا لم يقل سبحانه "لله الحمد"؟

الحمد الله تقال إذا كان هناك كلام يراد تخصيصه (مثال: لفلان الكتاب) تقال للتخصيص والحصر فإذا قُدم الجار والمجرور على اسم العلم يكون بقصد الاختصاص والحصر (لإزالة الشك أن الحمد سيكون لغير الله).

الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى، الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل، أما العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى، المقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً وليست مثل (إياك نعبد)

أو (إياك نستعين). فقد وردت في القران الكريم (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الجاثية – الآية 36).

لا أحد يمنع التقديم لكن التقديم والتأخير في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق، المقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية، أما في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أن الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة. فلماذا التفصيل في الجاثية (رب السموات والأرض) ولم ترد في الفاتحة؟ في الجاثية تردد ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما فقد جاء في أول السورة (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ) فلو نظرنا في جو سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعني هو ربهما (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) إذن هو رب العالمين (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) فهو ربهما (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) فهو رب العالمين. (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) جمع الربوبية في السموات والأرض والعالمين في آية واحدة، أما في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصناف الخلق من العالمين (المؤمنين، الضالين..) لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

(وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الجاثية الآية 37) ولم يذكرالكبرياء في الفاتحة لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (الجاثية الآيات 7–9) دل على مظهر من مظاهر الاستكبار لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض. فسبحانه وتعالى يضع الكلام بميزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

لماذا لم يقل سبحانه "الحمد للخالق"؟

- جاء سبحانه وتعالى باسمه العلم (الله)، ولم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى فلماذا جاء باسمه العلم؟ لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غير العلم لدل على انه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة فلو قال الحمد للقادر لفهمت على انه يستحق الحمد للقدرة فقط لكن عند ذكر الذات (الله) فإنها تعني انه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.
- من ناحية أخرى "الحمد لله" مناسبة لما جاء بعدها (إياك نعبد) لأن العبادة كثيراً ما تختلط بلفظ الله. فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود مأخوذة من أله (بكسر اللام) ومعناها عبد ولفظ الله مناسب للعبادة وأكثر اسم أقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (أكثر من **50** مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القرآن) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.
- "الحمدُ لله" أولى من قول الحمد للسميع أو العليم أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقول الحمد لله أولى من قول أحمد الله أو الحمدَ لله أو حمداً لله أو إن الحمد لله أو الحمد للحي أو القادر أو السميع أو البصير. جلت حكمة الله سبحانه وتعالى وجل قوله العزيز.

www.al-msjd-alaqsa.com